الفارسية العجيبة

حدث في خلافة هارون الرشيد أن والي البصرة أراد أن يتزوج، فكلف وزيره الأول أن يبحث له عن زوج تكون بارعة في الحسن والجمال، ذكية عالية الكعب في فنون الأدب. وعبثاً حاول الوزير أن يجد هذه المرأة النادرة. ولكن حدث ذات صباح أن أحضر تاجر إلى بيت الوزير جارية فارسية ذات جمال باهر، وذكاء نادر، وثقافة عالية. فأفرد لها الوزير جناحاً خاصاً في قصره، وعزم على أن يقدمها للوالي في اليوم التالي.

وحدث أن ولد الوزير نور الدين رأى الجارية. فوقع في حبها، وأحبته. ولما حضر الوزير ليرافقها إلى قصر الوالي وجد ولده جالساً معها، وعلم بحبهما. فقال لولده: «يالك من شقي!! سيعلم الوالي كل شيء، وستكون سبباً في شقائي وخراب داري!!» ولكن نور الدين توسل إلى والده، وألح في طلب زواجها. فرق الأب لحال ابنه، وتغلبت عاطفة الأبوة على الواجب نحو الوالي. فوافق على زواجهما. وصار كلما سأله الوالي عن الفتاة المرغوب فيها، قال إنه لم يعثر عليها بعد، وإنه من النادر أن تجمع امرأة بين الجمال والحكمة والذكاء. ويجب أن يتذرع الوالي بالصبر غير أن السر لم يخف طويلاً على الوالي، إذ علم ما كان من أمر الفارسية العجيبة ونور الدين. فأمر بإحضارهما في الحال. وكان أحد أصدقاء نور الدين قد سمع أوامر الوالي، وتبين غضبه الشديد. فخاف أن يصيب صديقه مكروه، فهرول إليه مسرعاً، وساعده على الهرب مع زوجه على ظهر سفينة مسافرة إلى بغداد. ولما وصلا إلى تلك المدينة العظيمة سارا في نواحيها على غير هدى، إذ لم يسبق لهما زيارتها. ولم يعرفا أحداً يضيفهما. وأخيراً وصلا إلى حديقة غناء، وقد حل بهما التعب. فجلسا بجانب فوارة، وغلبهما النعاس. ولما أقبل المساء أتى إليهما رجل مسن، وأيقظهما. فقال نور الدين: «عفواً أيها السيد المحترم، إذ تجرأنا على النوم هنا. فنحن غريبان عن هذه الديار، وقد سرنا في المدينة طول النهار، وحل بنا تعب شديد، وأعجبنا بهذه الحديقة العجيبة التي لم أر مثلها في حياتي فدخلنا واسترحنا هنا، فغلبنا النعاس. إنك سعيد حقاً إذ يكون لك هذا الروض الجميل.»

وكانت هذه الحديقة إحدى حدائق الخليفة، وبها قصر من قصوره. وكان الرجل المسن أحد الحراس، ولكن كلمات نور الدين جعلته يزهو ويتيه. كيف لا، والغريب يظن أنه صاحب الروض وما فيه. فقال في الحال: «أهلاً بكما وسهلاً،

هَيَّا أُرِيكُمَا الْقَصْرَ وَمَا فِيهِ مِنْ بَدِيعِ الْفَنِّ، وَنَادِرِ التُّحَفِ، وَثَمِينِ الرِّيَاشِ.» وَسَارَ بِهِمَا، فَصَعِدُوا فِي السُّلَّمِ وَدَخَلُوا إِلَى الْبَهْوِ الْكَبِيرِ الْمُزَيَّنِ بِالذَّهَبِ وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمُحَلَّى بِأَزْهَى الْحُلِيِّ وَأَثْمَنِهَا.

وَبَهَرَ نُورَ الدِّينِ هَذَا الْجَمَالُ النَّادِرُ، وَنَادَى الرَّجُلَ قَائِلاً: «اسْمَحْ لَنَا أَنْ نُقِيمَ هُنَا حَفْلاً صَغِيراً عَلَى حِسَابِنَا الْخَاصِّ.» وَنَاوَلَهُ كِيساً مِنَ الذَّهَبِ قَائِلاً: «إِعْطِ هَذِهِ النُّقُودَ أَحَدَ أَتْبَاعِكَ، يَشْتَرِ لَنَا شَيْئاً مِنَ اللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالشَّرَابِ». فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْكِيسَ وَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ، وَاشْتَرَى غِذَاءً فَاخِراً، وَعَادَ فَوَجَدَ نُورَ الدِّينِ وَزَوْجَهُ قَدْ أَضَاءَا شُمُوعَ الرِّدْهَةِ كُلَّهَا. فَتَلَأْلَأَتْ أَنْوَارُهَا مِنْ خِلَالِ نَوَافِذِهَا الثَّمَانِينَ.

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنْ يَخْرُجَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي مُتَخَفِّياً، يَسْتَطْلِعُ أَحْوَالَ الرَّعِيَّةِ. فَرَأَى الْأَنْوَارَ مِنْ خِلَالِ نَوَافِذِ الرِّدْهَةِ الْكُبْرَى. فَعَجِبَ لِذَلِكَ، وَصَمَّمَ أَنْ يَسْتَطْلِعَ الْخَبَرَ بِنَفْسِهِ. فَتَزَيَّا بِزِيِّ رَجُلٍ فَقِيرٍ. وَاقْتَرَبَ مِنَ الرِّدْهَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ الْفَارِسِيَّةِ الْحَسْنَاءِ، وَهِيَ تُنْشِدُ قِطْعَةً مِنَ الشِّعْرِ الرَّائِقِ عَلَى نَغَمَاتِ الْعُودِ. فَأَعْجَبَهُ صَوْتُهَا. وَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي حِيلَةٍ يَرَى بِهَا صَاحِبَةَ الصَّوْتِ وَيُشَاهِدُ الْحَفْلَ. وَبَيْنَمَا هُوَ يُفَكِّرُ إِذْ رَأَى صَيَّاداً يَصِيدُ السَّمَكَ فِي النَّهْرِ الْمُجَاوِرِ لِلْحَدِيقَةِ فَاشْتَرَى مِنْهُ سَمَكَتَيْنِ كَانَ قَدْ صَادَهُمَا، وَحَمَلَهُمَا. وَدَخَلَ إِلَى الرِّدْهَةِ. وَتَقَدَّمَ مِنْ نُورِ الدِّينِ، وَقَالَ: «لَقَدِ اصْطَدْتُ هَاتَيْنِ السَّمَكَتَيْنِ، وَرَأَيْتُ أَنَّهُمَا يَصْلُحَانِ لِمَوْلَايَ الْعَظِيمِ.» فَقَالَ نُورُ الدِّينِ: «حَسَنٌ، فَاذْهَبْ إِلَى الْمَطْبَخِ وَجَهِّزْهُمَا.» فَفَعَلَ الْخَلِيفَةُ،

وتقدم من نور الدين وقال: لقد اصطدت هاتين السمكتين ورأيت أنهما يصلحان لمولاى العظيم.

وعادَ بالسَّمَكِ مَقليًّا ، وقدَّمَهُ لَهُمْ . فلمَّا أكلُوا ، قالَ نُورُ الدِّينِ : « إنَّهُ لَذيذٌ حقًّا ! وما أكلتُ فى حياتى أحسنَ منهُ ! ! » وناوَلَهُ حفنةً مِنَ الذهبِ قائلاً : « أرجُو أنْ تتقبَّلَ هذهِ الهديَّةَ الصَّغيرةَ » . فشكرَهُ على عطيَّتِهِ . وقالَ ، « هَلْ تسمحُ لى أنْ أطلبَ عطفًا كبيرًا منكَ ؟ إنِّى على فقرى أحبُّ الموسيقا . فهلْ تسمحُ لى بالبقاءِ قليلاً أسمعُ غناءَ زوجِكَ الحسناءِ ؟ » فأخذتِ الفارسيَّةُ عودَها وغنَّتْ أبدعَ الألحانِ ، وسمعَ الخليفةُ صوتَها المفتونَ ، وأعجبَهُ جمالُها الفتَّانُ . وفى فترةِ الاستراحةِ قصَّ نورُ الدينِ قصَّةَ زواجِهِ إيَّاها وهربِهِ إلى بغدادَ ، يشكو ظلمَ الوالى إلى الخليفةِ العادلِ . وهنا أعلنَ الصيَّادُ أنَّهُ الخليفةُ هارونُ الرشيدُ نفسُهُ . وكتبَ إلى والى البصرةِ يستدعيهِ ، وحقَّقَ معهُ . فلمَّا تبيَّنَ لهُ صدقُ نورِ الدينِ عزلَ الوالى ، وأقامَ نورَ الدينِ واليًا على البصرةِ مكانَهُ . فعادَ إليها معَ زوجِهِ الفارسيَّةِ العجيبةِ .

النمل — (تتمة المقال المنشور بالصفحة الأولى)

وتعاونَ على نقلِها . ومنَ المناظرِ التى تلفتُ النظرَ منظرُ جماعةٍ كبيرةٍ منَ النملِ تسيرُ واحدةً وراءَ الأخرى ، فى خطٍّ طويلٍ متَّصلٍ منَ النقطةِ التى وجدتْ فيها الطعامَ إلى مسكنِها ، وكلٌّ منها تحملُ ما تستطيعُ حملَهُ منَ الذخيرةِ التى عثرتْ عليها . وكثيرًا ما يكونُ الحملُ أثقلَ منَ النملةِ نفسِها ، وقد يبلغُ أربعةَ أمثالِ وزنِها . وأحيانًا تتعاونُ الجماعةُ على جرِّ كتلةٍ كبيرةٍ مما ، فتمسكُ كلُّ نملةٍ بطرفٍ منْ أطرافِها .

مقطع رأسى فى مسكن النمل حيث نرى « البيض » والمربيات القائمات على رعايته .

ومنْ غريبِ ما يُعرفُ عنِ النملِ أنَّهُ يربِّى فى حظائرَ خاصَّةٍ مُلحقةٍ بمساكنِهِ ، أنواعًا منَ الحيواناتِ الصَّغيرةِ ، كما يربِّى الإنسانُ النحلَ لينتفعَ بعسلِهِ . فهذه الحيواناتُ تمتصُّ منْ بعضِ النباتاتِ عصيرَها ، الذى لا يستطيعُ النملُ نفسُهُ الوصولَ إليهِ بفمِهِ ، ثمَّ تعودُ فتفرزُهُ عسلاً يتغذَّى منهُ النملُ .

ومنْ طبعِهِ أنَّهُ يدَّخرُ مما يجمعُهُ فى الصَّيفِ ما يقتاتُ بهِ فى الشتاءِ . ولهُ فى حفظِ الأغذيةِ حيلٌ عجيبةٌ . فبعضُ البذورِ التى يدَّخرُها ، كالقمحِ والأرزِ ، تنبتُ إذا تُركتْ فى جوفِ الأرضِ مدَّةً طويلةً . ولذلكَ فهوَ يقسِّمُ الحبَّةَ قسمينِ قبلَ خزنِها ، ليمنعَها منَ الإنباتِ .

أمَّا حبَّةُ الكزبرةِ ، فإنَّهُ يقسِّمُها أرباعًا ، لأنَّها ، لوْ

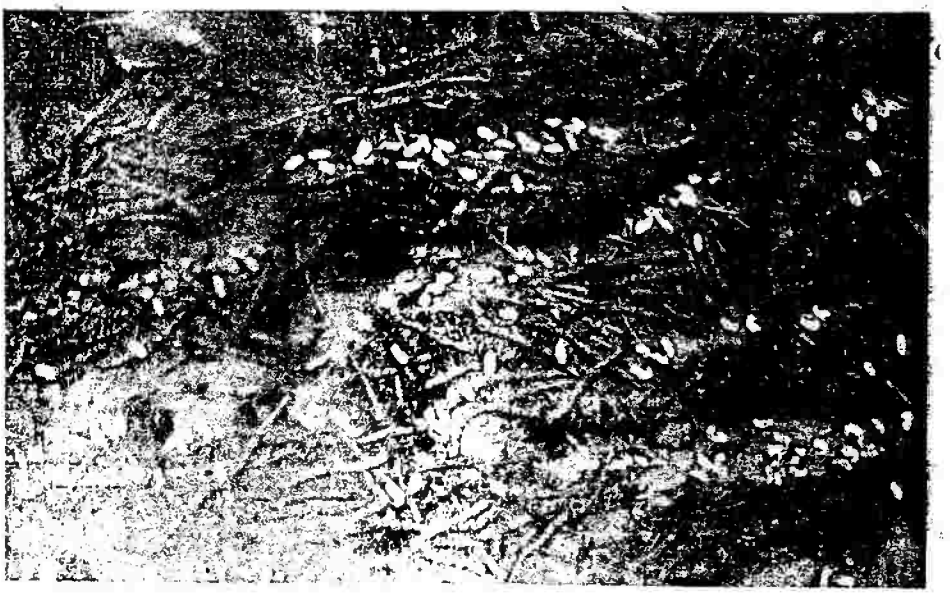

جزء من مملكة النمل رفعت عنه الأتربة

قُسِّمَتْ نِصْفَيْنِ، لَنَبَتَ كُلُّ نِصْفٍ بِمُفْرَدِهِ. وَإِذَا خَافَ النَّمْلُ أَنْ يَتَعَفَّنَ الْحَبُّ، أَخْرَجَهُ إِلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، وَنَشَرَهُ فِي الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ صَحْوٍ. وَإِذَا أَحَسَّ بِظُهُورِ السَّحَابِ فِي السَّمَاءِ، رَدَّ الْحَبَّ إِلَى مَكَانِهِ، لِئَلَّا يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْمَطَرُ فَيُتْلِفَهُ.

وبعض النمل لا يقرص ولكنه ينفث سما.

وَالنَّمْلُ، عَلَى صِغَرِهِ، شُجَاعٌ فِي الْقِتَالِ. وَأَكْثَرُ قِتَالِهِ فِي سَبِيلِ الْقُوتِ، أَوْ دِفَاعًا عَنْ مَسَاكِنِهِ ضِدَّ غَارَاتِ الطَّامِعِينَ فِيهَا. عَلَى أَنَّهُ يُقَاتِلُ أَحْيَانًا لِأَسْبَابٍ غَيْرِ ذَلِكَ. فَبَعْضُ أَنْوَاعِهِ تُغِيرُ عَلَى مَسَاكِنِ غَيْرِهَا، وَتَخْتَطِفُ صِغَارَهَا، لِتَتَّخِذَهَا عَبِيدًا، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ فِي الْأَزْمَانِ الْغَابِرَةِ. وَبَعْضُ أَنْوَاعِ النَّمْلِ لَا يَقْرُصُ وَلَكِنَّهُ مُزَوَّدٌ فِي الْجُزْءِ الْخَلْفِيِّ مِنْ جِسْمِهِ بِجِهَازٍ يَنْفُثُ مِنْهُ عَلَى عَدُوِّهِ سُمًّا قَاتِلًا.

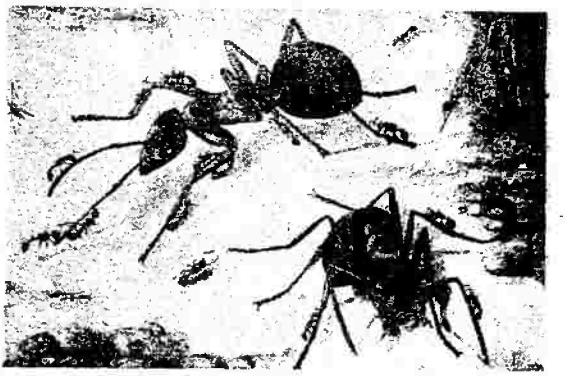

معركة بين نوع ضخم ونوع صغير من النمل. لاحظ كيف يحاول النمل الصغير هنا التغلب على خصمه بالتدلي على أرجله، وقرصه في مواضع ضعفه.

عَلَى أَنَّ النَّمْلَ أَحْيَانًا يَتَصَنَّعُ الْقِتَالَ فِي لَعِبِهِ فَتَرَاهُ فِي الصَّيْفِ، بِجِوَارِ مَسَاكِنِهِ يَقُومُ بِقِتَالٍ صُورِيٍّ،

(البقية فى صفحة ٢٤)